



صاحب السلطان

حلتى من لا أطيق مخالفته من ذوى قرباى على مصاحبتة
 لزيارة ذلك الذى أنته بصاحب السلطان ، فبلغنا داره وقد متع
 للنهار أول أيام العيد ...

واستقبلنا صاحب السلطان لدى مدخل حجرته ، ونظرت
 - وهو يعد يده للسلام - إلى وجهه المنتفخ المتورد، فإذا الذى يكون
 ابتساماً على غير وجهه من التوجوه لم يكن غنى وجهه هو إلا شبه
 ابتسام . وطاف برأسى خيال : ذلك أنه لا يتسم قط إلا حين
 يضطره اللبى إلى مثل ذلك النوع من الابتسام الذى بدا على
 وجهه كما يبدو للشيء فى غير موضعه

وجلسنا فأعتمنا حلقة من الزائرین كانوا بين يدى صاحب
 السلطان قبل مقدمنا ، ودرت بميى أو على الأصح درت بمنظاري
 فى نواحى الحجره اللسيحة فمجبت لأول وهلة أن رأيت كل شئ
 حولي تشيع فيه الحجره ، فالبسط حمراء لا أثر فيها لتقش، والأرائك
 حمراء ، والسائر حمراء ، وتقوش الجدر حمراء

واستقرت عيناى على وجه صاحب الدار ونظرت إلى شاربيه
 الليلطين المرهفين فوق شفته للضخمة وتحت أنفه الذى حرت فيه ،
 والذى لا أزال منه فى حيرة أهو الذى زاد للشاربين رهبة أم هما
 اللذان زاده غلظاً ونخامة ! ولست أدري لم قرنت وأنا أنظر إليه
 تلك الحجره التى شاعت حولى فى كل شئ بلون الهم وكان الأحرى
 ونحن فى اللبى أن أقرنها بلون الورد ! ولكن هيهات أن يتلقن
 خيالى بالورد وأنا أنظر إلى تلك السحنة والأحاديث التى سمعتها
 عن صاحبها تتوابع إلى ذا كرتى فى نشاط عجيب وتتداعى صورة
 إلى صورة كلما بدت منه حركة أو ارتسم على محياه معنى ...
 ولو أن الورد الجنى كان فى تلك الحجره ساعتئذ لما رأيت فى الورد
 نفسه إلا لون الهم !

وأستد صاحب السلطان ظهره إلى المقعد فظهر بطنه
 المتكشر أعظم ضخامة ، ونزل بذقنه حتى متت صدره فبدت
 لغاديبه أعظم هولاً ، وتكلم فإذا صوت كأنه صوت اللبى إذا

نقر يبعث فى الحجره وفيه على نكره سلف ، فهو يتضخم مرة
 فى الحجره ، ويبدو مرة أخرى كأنه يبعث من الأنف وتسبقه
 فى كل مرة غمضة يبرد معها وجهه ويبدو للشر فى عينيه كأنما
 ينهياً لما اعتاده فى غير ذلك الوقت من سباب

وينصت من فى الحلقة وكان أكثرهم من فرط اهتمامهم كأنهم
 يستمعون إلى من يتلو عليهم حكم الإعدام ، اللهم إلا حين كان يشرق
 وجهه قليلاً إذ يزهى بما يتلو عليهم من غالى الحكم فيستمعون
 ابتسامات عريضة ، ويتنافسون فى عبارات المواقفة والإطراء
 والإعجاب وإن لم يفقهوا شيئاً من حكمه الغوالى !

وتقاطر المزارعون والفلاحون للسلام على « للبك » فكان
 يخلع أزجل منهم نعليه عند عتبة الحجره ويسير حافياً على قبطاس
 الأحمر كأنما يخطو على نطع ليضرب عنقه : ففى وجهه من معانى للفرح
 ما لم يخفف منه إلا تذكره أن لليوم يوم عيد ، فإذا بلغ إلى حيث
 يتسكى للبك ، ومد إليه للبك أطراف أصابعه تناولها وانكب عليها
 فلتبها ورجع خطوتين دون أن يدير ظهره ، ومشي إلى الباب

فلبس حذاءه وكأنه أتى عن كاهله عبثاً أى عبء
 وكان للبك ينظر إلى كثيرين منهم نظرات ذات معنى فكأنما
 يذكر هذا بما بقى عليه من الإيجار ، وكأنما يتوعد هذا حتى ينهى
 اللبى ، وكأنما يستنجز غيره ما وعد ، وكأنما يقول بميى لآخر إنه
 لولا اللبى لما سمح له بالدخول عليه ؛ إلى غير ذلك من المعانى التى
 كانت توحىها إلى نظرات هذا التجبر المتكبر

وازدادت الحلقة واتممت إذ انضم إليها من يجردون على
 مجالسة للبك أو من يستطيون ذلك فى اللبى على الأقل ؛ وكان
 يسلم على كل قادم بمقدار ما له من مكانة ولو فى عرف الناس ، فهو
 مقتنع بما تنطوى عليه تحياته من معانى الشرف، ولذلك فهو ضنين
 بها عن الابتدال فلا يجود منها حتى فى اللبى إلا بمقدار

وأدار صاحب السلطان الحديث إلى الحرب ، كأنه وقد رأى
 فى زائره بمض المطربشين يردد أن يبرهن للجميع على أنه وإن
 كان من غير أبناء المدارس إلا أنه يعلم من أمور الدنيا ما ينبى
 أكثره عن الكاتبين للقارئین .

وبداً بالأماني وانطلق يتحدث وأنا أعانى فى كتمان الضحك
 ما أعانى وأتمنى أن يجود للبك بتكنة من سخيف نكاته لأنفرغ
 فى جلبة الحلقة ما بنفسى من ضحك مكتوم كم خشيت أن يتطلق

فيض الخاطر

قرأ الاستاذ أحمد الزين كتاب « فيض الخاطر »
للاستاذ أحمد أمين فأعجب به وحياه بهذه الأبيات :

قد سحرت النهى بسحر مبین فأتق الله يا براع « أمين »
وسلبت القراء أفضل ما أو دعه الله في سليل الطين
وعجيب لسارق حذو الشر عى فينا تقبيل تلك اليمين
جنة في براعك الخصب تؤتى أكلها طيب الجنى كل حين
قلم لم يقده في الطرس إلا رفع شك أو اجتلاب يقين
ما جرى مرة بغل ولا تبصر يوماً بحده من طمين
وعيناً نو أنهم أنصروه كتبوا فيصه بماء العيون

و « الفلاح يخاف ولا يخشى » . ولقد كان يذكر هذه للمبارات
في لهجة الخبير الواصل الذي لا يقبل فيها جدلاً ؛ وهل كان
في الجالسين من يجرؤ على جداله ؟ !

وتداعت للصور في ذهني وهو يتحدث عن الفلاحين ،
فتذكرت منظره وهو بين الزراع تركض به دابته وخلفه فلاح
يجرى والمرق يقطر من جبينه وإنه ليلهث كما يلهث الكلب .
وتذكرت أني رأيت يركل رجلاً توسل إليه أن يترك له بضعة
قروش بقية إيجار لصيق ذات يده ، ركاة قلبته على ظهره .
وتذكرت أنه أمر بجماعة من الفلاحين فطاف بهم أعوانه للقربة
عمرأة بعد أن ألقمت ملابسهم في النار لأنهم اعترضوا سيارة
قريب له على غير علم كانت قد دعت جاموسة لأحدهم . وتذكرت
أنه ما من فلاح يستطيع أن يحجز الماء ليصرفه إلى حقله حتى
تروى أرض البك كلها وإن تركت أرضه هو قاحلة جرداء

وحل للبك حلة قاسية على ما يسمونه الحرية ورد إليها أسباب
جميع الجرائم ولعن للمصر وسخافاته ورحم على الأيام اللانسية
أيام لم يكن يسمع أحد بحرية وانتخاب « ولا كلام فارح زى ده »
ونسى أنه كان نائباً مرتين !

وانصرفنا من لذه وأنا أقول في نفسي إذا كان مثل هذا
يتصدى للنيابة عن أولئك للفلاحين، وإذا كان يفكر هذا التفكير
في هذا المصر ، فياضية العلم وباخبية الآمال . الخفيف

على رغمي فأكون موضع استنكار الجالسين

ومالي حيلة في أن أصور للقارىء كلامه وحسبك مما أذكره
أنه كان يتحدث عن (هاتر) كما يسميه كما لو كان يتحدث عن أبي
زيد الهلالى والزمانى خليفة وهنتر بن شداد وأضرابهم من المغاوير
ويحرص البك أشد الحرص ويتوخى الدقة إذا تحدث عن
أقطار الأرض وإن كانت سويسرا وسوريا عنده شيئاً واحداً
وإن كانت كندا لتتأخم الهند ، وإن كانت دولة البلقان لمن أعظم
دول الأرض ، وإن كانت استراليا لتقع جهة السودان ، وإن
كان جبل طارق لذات ثروة عظيمة وبخاصة في القمح والقطن ،
وذاً خطر بحسب له ألف حساب ، إلى غير ذلك من الأدلة على
سعة علمه بجزائرية هذا السكركب

وان يقل علمه بالتاريخ عن علمه بالجغرافية، يتجلى ذلك في سبب
تفضيله هاتر على نابليون ، فنابليون كان يحارب منذ أكثر من
خمسة عشر سنة فكانت أمامه أم ضعيفة، أما (هاتر) فإنه يحارب إنجلترا
التي ملكت العالم وسادت البحار

ويحاول البك أن يتكلم المرية كما يفعل المتعلمون ، فيأتى
بضروب من اللغات لم يعبثه فيها سابق ولن يابحثه لاحق
إن شاء الله . فالقسطل الإنجليزي قسطل هائل ، وقيران دولة
سدبقة لنا ... إلى غيرها مما أخشى إن ذكرته أن يحمل على المبالغة
وينتقل صاحب الملطان إلى المبالغة بجماهه فيما يذهب فيه
من ضروب الحديث ؛ فيصف كيف يقف له سمادة المدير إذا
دخل عليه ؛ ويذكر من شملهم بطنه فيمنهم في وظائف مشيراً
إلى أنه إنما فعل ذلك لا يقصد غير البر والإحسان ؛ ويضجر بمن
يزور داره من الحكام ومن وجوه البلاد . ويقص الأنايس من
خوف رجال الشرطة منه ، وآخر ما حدث له معهم أنهم ما كادوا
يملكون أن الخير « الملوخة » التي قبضوا عليها منذ يومين
ملك له حتى أطلقوا سراحها معتذرين !! وأنهم عاجزون عن
أن يقبضوا على رجل من رجال عزبته إلا بأمره ؛ وبدهى أنهم
متى يجزوا عن الخير كانوا من الرجال أمجز

وتكلم عن الفلاحين ، ونأهيك بمديته عن الفلاحين ، فله
في ذلك من جوامع الحكم ومن أصول الاجتماع ما يعجب
ويطرب ؛ فخذ مثلاً قولك قوله : « اضرب الفلاح على رأسه
تأكل خيره » ؛ وقوله : « الفلاح جنس ما يستهش النعمة » ،